

# ذكريات السيد محمد صادق بحر العلوم عن ثورة النجف وثورة العشرين

«أعدّ هذه المادة صاحب (الموسم) ونشرت في العراق سنة ١٩٧١»

بينما أنا أتصفح بعض المجاميع والمصنفات المخطوطة بمكتبة أستاذنا العلامة الكبير والحجة المحقق السيد محمد صادق بحر العلوم في بيته العامر بالنجف الأشرف لفت نظري ما كتبه السيد حفظه الله من المذكرات عن الثورة النجفية الرائدة والثورة العراقية الكبرى ، ضمن مجموعة خطية نفيسة مؤرخة عام ١٣٥٩ هـ - ١٩٣٩ م فاستأذنت السيد بنشرها فاذن لي ذلك وأجازني التصرف بتسلسل ما أورده من الأحداث ، وسردت خلالها ما ذكره لي شفويا من الذكريات التي لم ترد ضمن تلك المجموعة . . وآثرت نشر هذه المذكرات التي تتحدث عن أهم الانتفاضات الوطنية في تاريخ العراق الحديث ليطلع عليها من شاء أن يطلع اثباتا للحقيقة التاريخية .

والعلامة بحر العلوم أشهر من أن يعرف لعلمه الجم وفكره الغزير ومصنفاته الكثيرة فهو بحق علم من أعلام التاريخ والأدب والتحقيق والتنقيب وحجة في البحث والترجمة والتأليف والكتابة ، وقد شغل منصب القضاء الشرعي في العمارة والبصرة سنين عديدة وله اليوم مؤلفات معروفة في فنون وآداب شتى وما زال «مد ظله الوارف» من أولئك الرجال الأفذاذ الذين يغذون سير الحركة العلمية والادبية في حاضرة النجف الأشرف .

- ١ -

## ثورة النجف

انتشرت في النجف في اخريات جمادي الثانية سنة ١٣٣٣ هـ ولمرور شهر على واقعة الشعبية منشورات تحض على مناهضة الحكومة العثمانية فاهتم لها أولياء الأمور في بغداد وبعثوا الى النجف جيشاً مؤلفاً من ألف من المشاة والفرسان بقيادة عزت بك فاختمى الثوار عند وصوله الى السواد وهم مجموعة يتألف بعضهم من البلط - الفارون من الجند - وفي الهزيع الأخير من ليلة السبت ٨ رجب سنة ١٣٣٣ عادوا فنفذوا الى النجف من جهة السور وانضم اليها طائفة من الأهلين فنشب في الصباح الثاني بينهم وبين الحامية العثمانية قتال شديد دام الى عصر الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٣٣ وفيه اذعنت الحامية وجردت من السلاح بعد فقدان جماعة منها فيهم بعض الضباط وطلب القائد والقائم مقام بهيج بك

والمستخدمون الامان فأخذه لهم واخرجهم به خازن المشهد وبعض الأمائل والصدور ثم أضمرت النار في دور الحكومة ونهبت أمتعة المستخدمين وتسلم النجفيون أزمة الحكم في البلدة وما كفى ذلك حتى صاروا يعملون على تقويض أركان الحكومة العثمانية من العراق فكان لهم ضلع في أكثر الحوادث التي حدثت بعد ذلك وأريد بها طرد الاتراك كحادثة كربلاء الأولى في منتصف شعبان سنة ١٣٣٣ وكارثة الحلة في منتصف شوال سنة ١٣٣٣ وحادثة كربلاء الثانية في ٧ رجب سنة ١٣٣٤ والتي هلك فيها خلق كثير وأشرفت البلدة على الخراب وما زال النجفيون يحكمون أنفسهم بأنفسهم سنتين أو ثلاث حتى حاولوا أخيراً أن لا يفسحوا بينهم مجالاً للانكليز كما اتفق لهم مع الاتراك فقاموا بثورتهم الخطيرة على الانكليز التي افتتحت بقتل - الكابتن مارشل - حاكم المدينة صباح الثلاثاء ٦ جمادي الثانية ١٣٣٦ بتاريخ - حصار وغلا - أو - قد ثبت الحصار - فحوصرت النجف أربعين يوماً بجيش انكليزي تبودل إطلاق النار بينه وبين النجفيين أكثر تلك الأيام حتى تم للانكليز القبض على بعض الثوار الابرار فعوقب الكثير منهم بالشنق والنفي والتغريب .

(ويستطرد السيد بحر العلوم وهو يستعيد ذكرياته) فقد نظمت أيام الحصار على النجف أبياتا قلتها على اثر شحة المواد الغذائية وقد بيع نتيجة لذلك في صباح يوم من أيام الحصار - لحم حمار - ولم ينكشف سره الا بعد أيام قليلة فقلت مؤرخاً على سبيل المداعبة :

وفتنة بين الملا فيها حمار أكلا  
فبالغري عم البلا ارخ (حصار وغلا)

(٢)

### الثورة العراقية

لما وضعت الحرب أوزارها سنة ١٣٣٧ هـ وظهر زيف ادعاءات بريطانيا وأكاذيب مواعيدها وأخذت حكومة الاحتلال الغاشمة تجحف الشعب حقه وحملته من الضرائب ما لم يكن يعهده من قبل وطال أمد الانتظار بما وعدتها وشاهدت ضباط الاحتلال يسعون وراء سلب حقوقها وسحب استقلالها فعزمت على المطالبة بحقوقها المشروعة وتذكير الحكومة الاحتلالية بالوفاء بمواعيدها بصورة قانونية فقابلهم الضباط بالاضطهاد الشديد بلا سبب سوى عزم الثوار على إبطال مساعيها في استغلال الشعب فبدأ الانكليز يسعون في تضييع حقوقه وحرته كل السعي ومن ذلك انهم ابرزوا لجماعة من الثوار أوراقاً باللغة الانكليزية زاعمين انها أوراق مالية وزراعية وطالبوا توقيع بعض الزعماء عليها ثم انكشف انها أوراق اعتراف بالوصاية للانكليز على العراق وضايقوا جماعة منهم جهاراً على هذا الاعتراف وقد اشتد اضطهاد الضباط فحبسوا جمعاً من الثوار وساقوا جماعات من السادات والعلماء والاشراف ورؤساء القبائل بصورة فظيعة وهجموا على منازل بعض الشيوخ وأحرقوها وما فيها وقتلوا العديد من الرجال والنساء والأطفال ، ومن الذين أسروهم الشيخ محمد رضا نجل آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره ، وحاول الانكليز ارباب من حسوا فيه المطالبة بحقوق الأمة المغصوبة فهددوه وتوعدهم الا أن ذلك أزداد الثوار قوة وإصراراً ومنعة ، وقد جرى في خلال أيام معدودة من سفك الانكليز للدماء وتدير المدن وهتك حرمة المعابد ما يبكي الانسانية أخيراً انهم دخلوا قرية الديلاب وفتشوا عن عائلة



السيد محمد صادق بحر العلوم (قدس سره)

شيخ عاجز مسن عددها اثنا عشر من نساء وأطفال ، فمزق الجند الانكليزي أشلاء الشيخ وذبحوا الأطفال وبقروا بطون النساء . . ومنها انهم دهموا قرية الحمزة عليه السلام وجعلوا بيوتها هدفا لنيران مدافعهم حتى هدمتها وقد هرب سكان القرية بعد المقاومة هائمين على وجه الجزيرة رجلا ونساء ولم يتخلف في القرية غير العجزة والاطفال الذين لا يزيدون عن سبعة عشر وما دخلت الجنود القرية حتى قتلت أولئك البؤساء وسلبت ما كان هناك من حلي وحلل وأموال وحيوانات وأتلفت كل ما يصعب نقله من أثاث البيوت ولم يكتفوا بهذه الفظائع الشنيعة حتى أصابوا حرم الحمزة عليه السلام بثلاث قنابل مدفعية خربت قسما منها وخربت الجنود الحرم وقلعت شباك القبر والصندوق الذي فوقه وكسرتها وخربت شبابيك النوافذ وكسرت جميع ما كان من المعلقة ولم يقتصروا على ذلك بل أحرقوا المصاحف الشريفة الموجودة في الحرم وفعلوا مثل ذلك بقرية الخضرة عليه السلام وبحرمه وقبره ودعوها قاعا صفصفا ، ومنها أنهم ألقوا من الطائرات القنابل في المسجد الأعظم مسجد الكوفة حتى أصابت بعض العباد والزهاد فقطعت أشلائها اربا اربا ثم ان الجند توجه الى الكوفة وأخذ يقتل كل من يصادفه في طريقه فكان الجندي الانكليزي يصادف الرجل فيضربه بالسنكي فيقطع أشلائه ولما شاهدت الجماهير العراقية من الحكومة المحتلة آذانا صماء فلا تصغي لمطالبها المشروعة وأنها باشرت في اسكات الأمة وإرغامها بالقوة العسكرية امتشقت حسامها دفاعاً عن حريتها وحياتها قائلة :

فان لم يكن غير الأسنّة مركبا فما حيلة المضطر الا ركوبها

امتشقت ذلك في وجه المحتلين وأخرجتهم من كثير من البلاد في مدة قليلة في حين ان الأمة لم تستعد من قبل ولم تتأهب لذلك قد جعلت صدورها هدفا لنيرانهم وكانت عاقدة النية على أن لا تترك قطعة من الأرض حتى تريق عليها دمائها الطاهرة وتلبسها حلة ارجوانية وان لا تدعهم إلا على أشلاء متكدسة وكانت تصرخ قائلة :

اما انتصار له معنى الحياة لنا أو الفناء هناك الخير مفتنم

وقد اغتنم الثوار مدافع فخمة ورشاشات كثيرة وبنادق غزيرة ومراكب ثلاثة كبيرة مدرعة بالحديد وكسر واحد منها بمدفع ضخم من المدافع التي اغتنمت من الانكليز في شط الكوفة . ومرت أيام حتى اذا سنحت الفرصة للجيش الاحتلالي فدهم بخيله ومدافعه واتوبيلاته المدرعة وطائراته الغادرة وهي جهة الهندية كان ذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر محرم سنة ١٣٣٩ فعند ذلك قاومه فريق من الثوار سويغات من الزمن ولما رأت انها لم تستطع مقابلة تلك الجيوش الجرارة والمدرعات الضخمة عبر الثوار جسر الهندية وألقوا النفط والحطب الكثير على الجسر وأوقدوه لثلا يعبر العدو ولما رأى ذلك الانكليز أسرعوا بالعبور فقاومهم الثوار مقدارا من الزمن مع ما هم عليه من قلة في الرجال والمعدات وتغلب الجيش الانكليزي الغاشم فتبعهم بالقنابل والمدافع الى ان قتل منهم جمعا كثيرا حتى ان بعض جثث الثوار بقيت عند العدو لا يمكنهم الوصول الى استنقاذها فبقيت أياما ملقاة على الأرض ولما عبر الجيش الانكليزي الجسر ودخل لمدة طوبريج أخذ يهدم ويحرق وينهب ويقتل كل من يراه . وصار الناس يقصدون المشهدين الشريفين الغروي والحائري طلبا للأمان بعد ان كثر القتل الذريع وعند ذلك قال الشيخ محمد علي بن الشيخ يعقوب النجفي الحلبي

لم تأمن الناس من جور العدا ابدا حتى استجارت بحامي الجار اشتاتا  
وهل سوى حيدر الكرار كهف حما تأوي له الناس احياء وأمواتا  
وقال أيضاً في نفس الغرض ويندب بها المهدي - عج -

فمن مبلغ المهدي عنا شكاية امام الهدى حتام تقضي ولم تزل  
اترضى بأن ينهي ويأمر ظالم وقد أصبح القانون ينفذ حكمه  
وتلك دماء الشيعة اليوم أصبحت تكاد لها شم الجبال تدكدك  
تري حرمت الله في الارض تهتك علينا وفي التوحيد يحكم مشرك  
بنا وكتاب الله يلقى ويترك تطل بأسياف الضلال وتسفك

ولا ننسى ما فعله الانكليز من جرائم وحشية واستهانتهم بالاماكن المقدسة ومن ذلك دخولهم الى  
مسجد الكوفة ومسجد السهلة - بمدينة الكوفة - بكلاهم وخيولهم وضربوا اخيبتهم وأبنيتهم فيها  
وهدموا بعض الأماكن منها وأرادوا الدخول الى ضريح مسلم بن عقيل - ع - ولكن منعهم الجند  
الاسلامي الذي كان معهم ويقوا في المسجدين اياما عديدة ثم خرجوا وكل هذا رغما منهم لأناف  
المسلمين علما منهم أن لا شيء أقتل للمسلمين من دخول الكفار لمعابدهم وربما كانوا يصرحون بذلك .  
وللشيخ يعقوبي قصيدة رائعة منها :

الى م تبقى يا امام الهدى شيعتكم بالضميم والذله  
او بعض ما قد حملت من أذى في يذبل لم يستطع حمله  
فاكبد ذابت بنار الجوى وادمع كالغيث منهله  
أكل يوم للعدى حملة على الهدى تتبعه حمله

ثم توجه قسم من الجيش الانكليزي الى بلدة كربلاء تتقدمها الطائرات فحاصرتها حصارا شديداً  
وأدارت عليها خارج البلدة اشراك الحديد ومنعت الداخل والخارج وأخذت تهدم كل دار ورجعت الى  
رؤساء الثورة وهدمت الكثير من بيوت الأبرياء وقبضت على ما يقرب من خمسة عشر رجلاً ما بين عالم  
وشريف وريس وضيقت على أهالي البلد الحصار حتى استلمت ذلك منهم وطال الى مدة ستة أيام ثم  
انها توجهت الى بلدة النجف فحاصرتها حصارا أشد من حصار كربلاء وفعلت بها مثل ما فعلت بها  
وأشد وكان دخولهم للنجف يوم الرابع من شهر ربيع الأول وضاق عليهم الامر وحالوا بينهم وبين الماء  
حتى ينجز ما راموا وحصل ما أرادوا اذ قبضوا على بعض رؤساء الثورة ومنهم الشيخ الفاضل حسن  
نجل الشيخ الشهر بشيخ الشريعة والشيخ الجليل جواد ال صاحب الجواهر وكان أول ورود الجند  
الانكليزي الى النجف يقدمها عشر طائرات فقال في ذلك الشاعر السابق الذكر :

الا ما لطائرة الانكليز تحوم على قبة المرتضى  
وما لجنودهم ضيقت على الأبرياء رحاب الفضل  
سيجري عليهم كما قد جرى على الروس مذ دخلوا للرضا

طال الحصار الى مدة أربعة وعشرين يوما حتى رفع يوم الجمعة الموافق للثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٩ هـ وللشيخ المذكور يندب المهدي - عج - ويذكر الحصار ويشكو اليه جور الأعداء الانكليز وظلمهم من قصيدة طويلة :

الا ايها الحادي مجدا على وجناء تنفح في سراها  
اذا ما جئت سامراء فاجبس قلوصلك عندها والشم ثراها  
وخذ للفائب المحجوب شكوى تكاد الهضب تنسف من شجاها  
وقل يا حجة الباري اغثنا فقد فتكت بشيعتكم عداها

وقد افتقدنا في هذه الأيام الشيخ الرباني الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري عشية الأربعاء الليلة الثالثة من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٨ وفقد عماد الشريعة خاتمة العلماء الشيخ فتح الله الشهرير بشيخ الشريعة في يوم الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ .



اجتماع علماء النجف وكربلاء والكاظمية (خلال أحداث ثورة العشرين)